

— او احق — بسبقه » : اي بما دنا منه وقرب من داره ». ذكر ابا زيد ، والاصمعي ، وابا عبيدة ، وقطربا ، وابا حاتم .
ونتخلص من دراسة اضداد ابي الطيب
الظواهر التالية :

الانتظام ، فقد بنت الاضداد عنده نضجها في اندراستة ، وغایتها في الانتظام الداخلي . فالماني تقدم في مفتحن المادة ، ثم ترد الشواهد على المانى . ثم تعالج المادة كلها .

وتكثر الشواهد وتتنوع عنده بصورة لا تخطتها عين . فيعتمد على الشعر كما رأينا في المادة السابقة . ويعتمد على القرآن كما نرى في قوله (25) : « ومن الاخذاد بطانة الثوب . يكون بمعنى البطانة » ، ويعنى الظاهرة . وقال الحسن في قول الله تبارك وتعالى : « بطائنا من استبرق » قال : اراد ظواهرها . قال قوم : لان كل واحد من الظاهراة وبالبطانة يكون وجها . يقول العرب : هذا ظهر السماء ، وهذا بطن السماء ، الذي نرى منها . وقال الزبير في قتلة عثمان رضي الله عنه : « ونجا من نجا منهم تحت بطون الكواكب » يعني هربوا في البلاد . وقال آخرون في هذه الآية : انما اراد الله تعالى ان بطائن هذه الفرش من استبرق ، وهو الغليظ الفاخر من الدبياج ، فالظاهرة أشرف وأعلى . والله اعلم بكتابه » .

ويعتمد على الاحاديث ، مثل قوله في مادة باغ (26) : « وروى ابن شهاب ، عن سالم بن عبد الله ، عن ابيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من باع عبدا وله مال ، فعاليه الذي باعه الا ان يشترط المباع » اي المشتري . فالمباع يكون بمعنى البائع ، والمباع يكون بمعنى الشيء المشتري . وفي حديث رواه ابن سيرين ، عن شریع ، عن ابن مسعود قال : اذا اختلف البيمان — يعني البيع والمشتري — والبيع قائم بعينه ، فالقول ما قال البائع ، او يترادان البيع » . يعني بالبيع الشيء البيع . وفي حديث آخر : « البائعان بالخيار » يزيد البائع والمشتري .. وفي حديث آخر رواه ابن

عليه . قال : « قال ابو زيد : يقال : امر امم : اذا كان عظيما ، وامر امم : اذا كان صغيرا . وقال الاصمعي : امر امم : اي قصد . وقال ابو عبيدة : الام : القريب . وقال عمرو بن قميئه في الصغير :

يا ليف نفسى على الشباب ولم
انقدر به اذ فقدته اممـا
وقال الاعشى :

لئن قتلت عميدا لم يكن امما
لقتلن مثله منكم فتمثلـا

قالوا : معناه لم يكن صغيرا حقيرا . وقالوا : بل لم يكن قصدا . وانشد قطرب في معنى القصد :

اتانى عن بنى الاحراـ
ر قول لم يكن امما
ارادوا نحيث اثنتـا
وكنا نمنع الخطـما

وانشد ابي عبيدة في معنى القريب :
يا ليت شعرى عنك والامر اممـا
ما فعل اليوم اويس فى الغنم

قال ابو حاتم : اظنه والامر قصد ، وانشد في معنى القريب :
« قومي اياد لو انهم اممـا

اي لو انهم قريب . وقال الآخر :

Koviyah Nizah Moltahـا
لا اممـا دارها ولا صقبـا

ويروى : « لا سقب » بالسيـن ايـضا : وهو القريب : ولذلك قالوا : دار فلانة مـسبة بدارنا : اي قريبة منها . وفي حديث الشفعة : « العـار اولى

(25) 67 . وانظر فهارس الكتاب .

(26) 47 . وانظر الفهارس .

واغترف أبو الطيب من أضداد سابقيه ، وما اتوا به في سبيل تفسيرها وتحليلها ونقدتها والاستشهاد عليها . وكان حريصا كل الحرص على نسبة كل قول إلى قائله ، حتى في الأحوال التي لم يلتزم فيها عبارة واحد منهم ، وجمع بين عباراتهم ، وأشار إلى ذلك . فكان أكثر من جمع بين عبارته قطرب وأبو حاتم . وجمع أيضاً بين التوزي ، وقطرب وأبي عمرو ، وقطرب وأبي عبيدة . وجمع أحياناً بين أقوال ثلاثة منهم معاً، مثل قطرب وأبي حاتم والتوزي ، وأبي عبيدة وأبي زيد والاصمعي .

وكانت الشمرة الطبيعية لهذا أن كثرة الأضداد عنده كثرة هائلة تعادل كثرتها عند ابن الأنباري ، وإن تمثلت في كتابه جميع الظواهر التي وجدت في كتبهم ، في الأضداد والشواهد والتفسير . بل إن ما جاءوا به ولم يرض عنه لم يخل كتابه منه ، وجمعة في آخر الكتاب .

ولكن ذلك لم يلغ شخصية أبي الطيب . فما أكثر تعليقاته الشخصية التي يورد بعضها عن لغويين آخرين ، ويأتي ببعضها من معارفه العامة ، ويقصد فيها إلى زيادة التوضيح ، والاعتراض ، والنقد ، والترجح ، وما إلى ذلك من أمور .

والحق أنه يعادل كتاب ابن الأنباري قدرها وأهمية . ويفوقه في اتجاهه الأدبي ، وكثرة شواهده وتنوعها ، وكثرة الأحاديث عنده ، وفوائده التي أضافها ، وأنصاره على نسبة كل قول إلى صاحبه ، وما دخله على الأضداد من ترتيب . أما ابن الأنباري فيفوقه في القراءيات ، والعلل اللغوية والمصرفية ، والعبارات المؤلفة .

- * -

كتاب ابن الدهان

اعلن ابن الدهان في مقلمة أضداده أنه نظر في كتب السابقين عليه ، فوجد فيها اختلالاً : إذ يذكرون ما يجب عليهم حذفه ، ويتركون ما يجب

مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم : « اذا اختلف المتابعون استخلف البائع ، ثم كان المبتاع بالخيار » .

ويعتمد على أقوال الصحابة ، كما رأينا في ظهر ، وكما نرى في قوله (27) : « يروى عن حذيفة انه قال حين حضرته الوفاة : يعموا لي كفنا ، اي اشتروا لي » .

ويعتمد على أقوال الاعراب والاقوال المتبادلة بين الناس في حياتهم اليومية ، كما رأينا في ظهر ، ونرى في قوله أيضاً (28) : « ذكر اعرابي جريحا فقال : كان سفيراً اي حاذقا بالشعر » .

ويعتمد على الامثال أيضاً (29) : « وبشارة الانسان : ظاهر بذنه عندهم جميماً ، والجمع بشرات وبشر ... أبو زيد : يقول العرب في مثل : « أراك بشر ما أحجار مشفر » وبعضمهم يقول : اولج مشفر . قال : سمعتها من رجل منبني اسد يقول : ما أكلت استبان على بشرتك وفي لونك » .

وكتيراً ما كان يورد تعليقات على الشواهد توضحها ، كما نرى في قوله : « وقول الشاعر :

امك بيضاء من قضاة في الـ
سببيت الذي يستظل في طنبه

اراد نقية من المعائب ، ولم يرد ان يصف لونها . وكذلك قوله :

امك بيضاء من قضاة قد
تمت لها الوالدات والنضد

النضد ها هنا : الاعمام والاخوال .. » .

ونسب كثيراً من الشواهد الى من انشدتها كما رأينا في امم : ونرى في قوله : « الامين : المؤمن ، والامين المؤمن ، بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول . وانشد أبو حاتم للثانية في معنى المفعول به .

وكنت امينه لو لم تخنه
ولكن لا امانة لليماني »

45 . وانظر الفهارس . (27)

45 . وانظر الفهارس . (28)

74 . وانظر الفهارس . (29)

الهاء . وكان لا يعتمد في ترتيب الألفاظ إلا على حروفها الأصلية . أما الزائدة فلا اعتبار لها عنده . ويدو من عباراته الأخيرة أنه تحري الجمع وتدوين ما وضعه السابقون في كتبهم بدون تعحيص أو نقد ، فهو لا يقبل المرضي وحده ، ويحذف المشكوك فيه ، بل يقبلهما معاً . وقد أشار إلى ذلك مرة ثانية في خاتمة كتابه القصيرة التي قال فيها : « آخر كتاب الأضداد ، ولله الحمد والمنة . وفيه كلمات ليست هي عندي من الأضداد ، ولكنني قفوت في آثار من سبقني إلى جمعها مثل ابن الأنباري وغيره ، حذار أن يقال : أهمل شيئاً مما أثبته ، فليمهد العذر العاشر عليها ، وصلى الله على سيدنا محمد وآلـه وصحبه كثيراً » .

وبحسب ندرس الكتاب لنرى مقدار وفائه بوعوده نراه في الخطوة الأولى جمع 337 ضداً ، ولكنه لم يذكر كل ما في الأضداد قطرة وابن السكريت وابن حاتم وابن الأنباري . فقد حذف من الأولى حوالي 67 ضداً ، ومن الثانية حوالي 10 أضداد ، ومن الثالثة حوالي 55 ومن الرابعة حوالي 40 ضداً . واتي في مقابلها بقريب من 75 ضداً ، ليست في هذه الكتب الثلاثة . ولا يقوم هذا الحذف على أساس الشك والنقد ، إذ لم يحاول المؤلف ذلك بتصریحه . اضف إلى ذلك أن كثيراً مما حذفه رواه غير واحد من مؤلفي الأضداد (20 ، 225 ، 217 ، 77 ، 226 ، 193 ، 205 ، 60 ، 219 ، 127 ، 1 ، 210 ، 214 ، 85 ، 185 ، 213 ، 24) . ولكن يجب الإشارة إلى أن كثيراً مما حذفه خطأ (231 ، 180 ، 166 ، 109 ، 255 ، 286) أو مشكوك في منه (259 ، 246 ، 272 ، 273 ، 244 ، 270 ، 266 ، 118 ، 275 ، 252 ، 243 ، 242 ، 271 ، 257 ، 17 ، 105 ، 96 ، 105 ، 161 ، 162 ، 163 ، 164 ، 165) أو فعل 203 ، 204 أو انتعل (175) .

اما المنهج الذي سار عليه فنایة في البساطة : ايراد اللفظ ومعنىه المتضادين . ولا عنایة بما بعد ذلك . فلا ذكر للغويين الذين يأخذونهم الا قليلاً (490 ، 688 ، 706) ولا ذكر لشواهد ، ولا لمشتقات ولا لمعان آخر للأضداد ، ولا لفوائد وزيادات واحكام وقواعد . فالكتاب يمكن تسميته « متن الأضداد » . وهكذا بعض الأمثلة :

عليهم ذكره ، ووجدها مشحونة بالشواهد . فاستهدف أن يخرج مختصرًا حاوياً للأضداد مجردة عن كل شيء . فهدفه الجمع والاختصار . ثم رد على من انكر الأضداد . واتبع ابن الدهان ما فعله أبو الطيب ، ترتيب أضداده ، فلم يراع فيها غير الحرف الأصلي الأول وأهمل بقية الحروف .

ولا يزيد الكتاب عن قائمة توفر اللفظ الضدي به معنياه . وعلق من وقت لآخر على بعض الأضداد بعبارة « وفيه نظر » دلالة على شكه فيه . وطبعي أن الكتاب حوى الانواع المتعددة من الأضداد ، بسبب اعتماد المؤلف على الكتب السابقة ، التي أشار منها إلى كتب الأسماعي والفراء وقطرب وابن السكري وتللب والمجستانى وابن الأنباري .

وأمثل لنهج الكتاب بما يلي :

« الأمين : المؤمن والمؤمن .

الماتم : النساء يجتمعن في الحزن ، وفي الفرح ، وفيه نظر .

اذ : للماضي والمستقبل ، وفيه نظر .
اذ : للماضي والمستقبل ، وفيه نظر .
الأمم والأمم : الحقير والعظيم .
الأشرة : الاشارة والمؤشرة » .

— * —

كتاب الصفاني

في أوائل القرن السابع ، أخرج الصفاني كتاباً في الأضداد ، وصل الينا بتحقيق الاستاذ الدكتور هفتر Dr August Haffner . ويفتح الكتاب بالعبارة التي يبدو أن الصفاني كان يفتح بها كتبه جميعاً مع البسمة والحمد ، والتي تدل على اعتقاده في المسجد الحرام ..

وصرح المؤلف في مقدمة بأنه قرأ جميع كتب الأضداد ، وذكر ما فيها ، مع تحري الاختصار والتترتيب على حروف الالفباء ..

ولم اعثر قبل الصفاني على كتاب في الأضداد مرتب على الحروف في جميع الفاظه ، فلعله اول من فعل ذلك . وكان ينظر في ترتيبه هذا الى اوائل الحروف ، فحروتها الثانية ، فالثالثة فالرابعة اي الترتيب الحديث المعروف لنا ، مع تقديم الواو على

وسار المؤلف ايضا على نهج القاموس في العناية بالتفسير وحده ، وحذف الشواهد . فكان يورد اللفظ ثم معنiente التضادين . وكان في غالب الاحيان يحافظ على نصر القاموس ايضا . وهذه بعض الأمثلة من باب الهمزة منه ، تؤكد ما سبق من اقوال : « ثاتاً الإبل : عطشها وارواها . وثاثاً : عطشت ورويت . جفا الباب : اغلقه وفتحه كاجفاه . خجيء : استحياناً وتكلم بالفحش . وأدا الشيء : حركه وسكنه . دارأته : دافعه ولاينته . رقا بينهم : افسد واصلح . القرء : الحيض والظهر . ناء بالحمل : نهض مثلاً ، وانقل فسقط . وراء : خلف وقدام » .

— * —

كتاب محمد المنشي

تقتني المكتبة السليمانية بالاستانة رسالة اخرى في الاضداد للشيخ محمد المنشي ، تمثل الرسالة السابقة او تقاد ، تحت رقم 1041 . وليس للرسالة مقدمة تبين هدفها ولا منهاجاً . ولكن لها خاتمة اخذ جزءاً منها من المزهر للسيوطى ، ومن اضداد ابن الانباري . وصرح فيها : « وقد تتبعنا القاموس وغيره من كتب اللغة ، واستخرجت ما صادفته ، ولم ادع الاحتاطة » .

وعند مقارنة مادة هذه الرسالة بمادة الرسالة السابقة لا نجد بينهما فرقاً يذكر ، لاعتمادهما الرئيسي على القاموس المحيط في الاضداد ، وترتيبها وتفسيرها . ومثال ذلك قوله : ثاثاً الإبل : ارواها وعطشها ضد . وثاثاً الإبل عطشت ورويت ضد . جفا الباب : اغلقه كاجفاه وفتحه ضد . دارأته : داريه ودافعته ولاينته ضد . رقا بينهم رقا : افسد واصلح ضد . القرء ، وبضم : الحيض والظهر ضد » .

— * —

دورق الانداد للأبياري وشرحه

وفي أوائل العصر الحديث شارك الشعر في حركة الاضداد ، فالفت فيها الرسائل المنظومة ووصل اليها من هذه الحركة رسالتان . اولاًهما المسماة « دورق الانداد في نظم أسماء الاضداد »

« الابض : السكون والحركة .

الابل : الربط واليبر .

المائس : النساء المجتمعات على الحزن وعلى الفرح .
الاردة : الحفرة التي تحفر للنار ، والنار نفسها ايضا .

الأزر : القوة والضعف .

أسد : اذا جزع وجبن ، واذا جسر كالأسد .

آسف : اذا اسرع واذا ابطأ .. الى آخر الكتاب » .

ولكننا نأخذ عليه اضطراب ترتيب بعض الالفاظ عندـه . فقد قدم « أون » على « أور » و « تصدق » على « صامت » و « فانـس - قـيـص - فـانـس قـنـوـع » على « قـمـوـء » والمـعـكـس أصـحـ . كما قدم « نـاء » في اول حروف الواو اذ ذكرها مع تاء المتكلم « نـوـت » والاصـحـ وضعـها في التـونـ معـ الواـوـ .

— * —

كتاب عبد الله بن محمد

تقتني دار الكتب المصرية رسالة صفيرة جدا في الاضداد عنوانها : « ذكر بعض الاضداد التي ذكرت في القاموس » جمع من يسمى « السيد عبد الله بن محمد ... » . تحت رقم 241 مجاميع وهي ورقات ، ناقصة من آخرها . اذ وقفت في اثناء مادة « القتين » .

و واضح من عنوانها ان المؤلف جمع ما فيها من اضداد من القاموس المحيط للفيروزابادي وحده وقد سار المؤلف على ترتيب القاموس ، اذ يبدو انه في اثناء اطلاعه كان يدون كل لفظ من الاضداد بغيره . ولم يختر المؤلف الاضداد التي نبه عليها الفيروزابادي وحدها ، بل اختار ايضا الالفاظ التي روی لها معنین متضادین دون تنبیه على انها من الاضداد . ولم يغير المؤلف في ترتيب الالفاظ التي اختارها من القاموس ، فبقيت على ترتيبها فيه ، اي على الحرف الاصلي الاخير اولاً ، فالحرف الاصلي الاول ثانياً ، فحرروف الوسط الاصول مرتبة ..

ويريد بالبيت الثاني - كما نص شارحه - :
 « ان كثرت الاشادات بأن كان اللفظ مشتركاً بين
 اربعة معانٍ مثلاً ، كل معنيين منها متضادان ، جئت من
 الاربعة مثلاً ، بما يقى عن الصد من كل منها وذلك
 انى اذكر معنيين فقط : كل منها محدود الصد
 لينفهم المحدود بالذكر » .
 وسار في ضبط الفاظه على هدى القاموس المعيط :
 قال :

ينبئك قاموسها بالاصطلاح لها
 اذ منه مرجانها والمؤثر انظمها
 ما كان مهملاً او مفتوحاً اوله
 اطلقته وضبطت الغير معتضاً
 والوزن فيما له قد حركوا اوله
 قد سكنوا مؤذن بالضبط للفهما
 فان ضرورة شعر قد دعت لسوى
 هذا ، اشرت اليه خوف ان تهمها

وابع ترتيب الفيروزابادي وتقسيمه لقاموسه، فالكتاب مقسم الى ابواب بحسب الحرف الاخير للكلمات التي فيها . وترتبت الكلمات في داخل هذه الابواب بحسب حروفها الاولى فالوسيطى . ولكن الشعر ارغمه احياناً على الاخلال بهذا الترتيب في داخل الابواب لا بين الابواب . اعني الاخلال في ترتيب الحروف الاولى ، او الحروف الوسطى ، اما الحروف الاخيرة فلا .

وهكذا قدرنا ما قاله الناظم في « باب الهمزة »
 لتبرز معالم منهجه :

بفرة الشهير فسر البراء كذا
 بالانس فسر بسأء واكسن لهمما
 ثم البلاء لمنحة أتسى ولمع
 نة ، كما جاء في القرآن منفهمها
 ثالثات ابلى : اي ارويتها ، وكذا
 ثالثات هي : اي اضحت ذات ظما
 والاجداء بسؤال فسروا وعطيا
 كذا الجداء ، قاله القالي عن العلما

للسيد عبد الهادي نجا الابياري المتوفى عام ١٣٥٥ هـ . وقد الفقه قريباً من عام ١٢٩٧ ، اذ تمت النسخة الثانية منه على يد الناظم في ضحوة يوم الثلاثاء تاسع شوال من ذلك العام ، كما تصرح نسخة دار الكتب المصرية ، التي تحت رقم ٨٤٤ لفة .

والسبب الذي دفع الابياري الى تأليف نظمه اعنة الادباء الذين يرمون الى التائق بالجنس والتورية والمحسنات . واما المراجع التي اعتمد عليها فالقاموس المحيط للفيروزابادي وشرحه ، قال الناظم في مقدمة قصيدته :

وقد تيسر لي في جمعها جمل
 تجمل المجتنبي من روضها كلما
 كل الذى ذكر القاموس جئت به
 الا الذى بصرى قد زاغ منه وما
 وزدت اشياء من شراحه وسوا
 ها ، هكذا منه ، لكن بالذى فهمها

حتى ظننت بأن لم يبق قط من الـ
 أضداد شيء ، ولكن يا أخي ربما
 وشرح لنا الناظم منهجه في المقدمة ايضاً ،
 فعرفنا بأنه لم يتلزم باللفاظ الواضح تضاد معانيها
 وحدها ، بل ذكر ما أورده غيره ولو كان فيه تجوز
 وتوسيع ، وإن تعدد في أحياناً أخرى ، قال :

وربما كان في بعض الذي ذكروا
 تسامح بعموم أو بما لزمـا
 فاقفي اثرهم طوراً ، وأونة
 ابدي الذي يتسرع في لفهمـا

ولم يتلزم ايراد المعنيين المتضادين في كل
 لفظ من الأضداد ، بل حذف احياناً المعاني المعروفة
 المشهورة واكتفى بايراد المعاني غير المعروفة ، قال :
 طوراً اجيء بكل المعنيين وظـو
 را بالذى كان مجهولاً ومنبهما
 فان تعددت الأضداد جئت بما
 يغنى عن الصد من كل ، لينفهمـا

وقام المؤلف نفسه بشرح قصيده في كتاب
سماه «الرونق على الدورق» اكثراً فيه واطال
واستطرد . ولكنـه - فيما يبدو - لم يتمـه ، وإنـما
اعطـانا وصفـه أـحمد بن أـحمد بن اسمـاعيل الحـلواني ،
في مقدـمة شـرحـه للدورـق . قال : « وكان - حفـظـه
الله - قد أـبـدا شـرـحـه المـوسـوم بالـرونـقـ على الدـورـقـ ،
لـكـنه طـال وـسـار بـل سـال ، فـي رـياضـ الـادـبـ الفـوالـ ،
عـن يـمـين وـشـمال . فـانـه التـزمـ فـيه تحـفـ المـناسـباتـ
الـظـرـيفـةـ ، طـرقـ الـاسـتـطـرـادـاتـ الشـرـيفـةـ ، وـحقـقـ
وـدقـقـ ، وـنمـقـ وـائقـ ، وـحرـرـ وـجـبـرـ ، وـونـضـ وـنـضـرـ ،
وـنـشـرـ الدـرـ وـالـجـوـهـرـ ، فـاـكـثـرـ . . . فـقـدـ رـأـيـتـ مـنـهـ اـرـيـةـ
كـرـادـيسـ ، يـبـذـلـ الـادـيـبـ فـي مـثـلـهاـ النـفـسـ وـالـنـفـيـسـ .
وـلـكـنهـ زـهـرـ فـي الـاـكـامـ ، وـطـفـلـ لـمـ يـبـلـغـ حدـ الـفـطـامـ . . . »

ورجا المؤلف من الحلواني أن يؤلف شرحا مختصرا على قصيده . فحقق الرجاء بكتابه الذى تحفظ دار الكتب المصرية بمسودته تحت رقم 844 لفة ، بعنوان « الكأس المروق على الدورق » ، وقد فرغ منها « يوم السبت الخامس والعشرين من صفر سنة اثنين وثلاث مئة وalf من الهجرة الشريفة » .

وحدد الحلواني خطوات منهجه بقوله في مقدمته : « فشرعت فى الشرح وما اطيله ، فالملصود الدورق وهو سبile . الا انني ان ظفرت بشيء من الاضداد ، في باب من الابواب ، فاني اذكره تتماما للمراد ، في خاتمة ذلك الباب . ولا التزم في اخذه من نحو القاموس او تاجه : ان تكون نصا في الصدمة ، سيراجع الدورق في منهاجه من اعتبار العبارة الاشارية . ولا التزم ايضا الاستقصاء ، فاني ان رمته استعصى ، كيف واللفة بعيدة الساحل ، مديدة المراحل ؟ ... ولكن ما جاء عفوا اخذته صفوأ . ثم لا تراني معاذ الله اعمد الى مقام مشهور ، مجتهه اسماع الجمهور ، فأسiod به وجهه السطور ، فذلك مما ينفر الطياع ، ويذكر الاسماع ، ويكون عارا لا يمحوه اعتذار ولا استشافع ، اللهم الا ان كان من الحقوق الواجبة ، او سبق لمناسبة ، او نكتة مناسبة ، فالشيء بالشيء ، والشمس بالغيم ، فهذا لا اتحماه ، بل أحمي حمام ، واتقي اذاه ، الى

ما ستراء ، ان شاء الله ، من الالماع ، بما يسحر
الاسماع ، من تحقیقات شریفه ، وتدقیقات ظریفه ..
ترها مره شرعیة ، وکرة ادبیة ، وطورا یمانیة ،
وحيثنا معدیة يرثاج اليها الفقیهه ومن حذا
حذوه ، واللغوی ومن نحا نحوه ... ».

وذهب الرجل في هذا الشرح على معالجة نص
النظام نحوياً وعروضاً وتفسيره تفسيراً كاملاً ،
وتناول كل ما عن له من مشاكل في النص . فهو يقوم
على طريقة المتن والشروح والحواشي التي كانت
تسود العيوب الأخيرة من تاريخنا . وصدر كل باب
بكلمة عن عنوانه .

منبه الرقاد

وتحتفل هذه القصيدة عن السابقة في عده
مظاهر ، اولها ان هذه من المزدوج الذى يقسى
شطراه وحدهما ، وتحتفل الفاقية فى الابيات بعد
ذلك . اما السابقة فكانت من بحر البسيط ،
والترمت فى روتها الميم المشبعة الفتحة . واتفق
الاثنان فى الابتداء بمقدمة شرح كل منهما فيها
منهجه . ولكن المنهجين لا يتفقان تماما . فقد صرخ
ناظم هذه القصيدة بعد الحمد والصلوة بأن قصده
بها علمي هو تنبية الفانلين والجاهلين – ومن ثم
اسمها – على حين كان مقصد الابيارى اديبا علميا
كما رأينا . يقول ناظمنا :

وبعد فالقصد بهذا النظم

نبیه کل غافل و امسی سمیتہ منبھ الرقاد

في ذكر جملة من الأضداد

واراد ناظمنا - كما أراد الإبستاري - الجمع
ووَرَجَعَ فِي سَبِيلِهِ إِلَى الْقَامُوسِ وَالصَّحَاحِ وَكَتَبَ ابن
ابن جنني على حين رجع الإبستاري إلى القاموس
وشرحه . يقول الناظم في المقدمة :

ثائ اذا ابله : ارهاها
 كذا اذا اغري بها صداتها
 وثاث هي : اذا ما رويت
 يوم ورودها ، كذا ان عطشت
 وجفا الباب : اذا ما اغلقه
 كذا اذا فتحه ، فتحققه
 دارات ذا : دفعته لشره
 كذا اذا لابنته لعسره
 رقا : انسد واصلح ، خذ
 والمصدر الرقو ، والرقا ابند
 والقرء ، بالفتح وبالضم اتى
 يكون للحيض وظهر ثبتا
 وناء زيد : خف او قد ثقلأ
 فعجز الحال به بين الملا
 ثم الورا بهمز لا اعتلال
 يكون خلف وامام تالي
 عكس الذى توهם الامام
 الجوهرى العالم الهمام
 ويتبين من هذه الایيات ان الناظم خالق الايباري
 فى عدة مظاهر : اهمها التزامه ذكر المعينين المتضادين
 فى كل نون ، عدم التزام قافية واحدة فى جمیع
 الایيات ، ثالثها الاشارة الى المشتقات مثل مصدر
 الرقو ، رابعها الفبطة واللغات فى القرء ، خامسها
 تقد الجوهرى فى « وراء » اذ جعلها مع المعتل واصلها
 الهمز ، وقد اخذ هذا النقد من الفيروزابادي ،
 سادسها انه يترك بعض الاضداد التى ذكرها الايباري ،
 اي عنانة الاخير باستثناء الاضداد اشد من عنانة
 صاحب « المنبه ». ومن اهم اوجه الخلاف ايضا
 شعور المرء - بان قصيدة صاحب « المنبه » اشد
 سلاسة ، واعظم وضوحا ، واقل تكلما من قصيدة
 الايباري .

وهناك اوجه خلاف اخرى لم تظهر فى الایيات
 السابقة ولكنها ظاهرة فى القصيدة كلها ، اهمها
 اهتمام صاحب « المنبه » بذكر المعاني التى لا تدخل
 فى المعينين المتضادين للاضداد مثل قوله :

احسب ما وجدت منها مع قصور
 وغيبتي عن فنها مع الحضور
 واحسب هنا بمعنى اعد ، ويقول فى الخاتمة :
 معتمدا ضبطي على القاموس
 لانتي فى الفن . كالبابوس (30)
 وفي الصحاح جاعلا مجني
 وربما أخذت فى ابن جنی
 وجعل من خطته ذكرا للمشتقات المرتبطة
 بالاضداد وخاصة المصادر والصفات ، على عكس
 الايباري يقول :
 وربما اومي للاشتغال
 والقيد ان كان وللاطلاق
 والمصادر فاضبط الكلم
 والوصف مع بعض اللغات المبهم
 وخصوص الجزء الاخير من قصيده للالفاظ
 المتماثلة - اي الكلمات المتماثلة المعنى مع تغير بعض
 حروفها بالابدا - والمقلوبة ، يقول :
 وللمماثلين والمقلوب
 عنوك يا مقلب القلوب
 ولجا فى تقسيم قصيده الى التقسيم الذى
 ارتضاه صاحب القاموس ، والايباري . فالقصيدة
 مقسمة الى ابواب بحسب الحرف الاخير من الاضداد
 التى يحتوى عليها كل باب ، والالفاظ ترتب فى
 داخل الابواب بحسب حروفها الاولى ، وأواسطها
 ولكن الترتيب كثيرا ما افلت منه فى داخل الابواب .
 وختم القصيدة بخاتمة اشارت الى انتهاء ما
 يريد نظمه ، وأشياء من منهجه ، والدعاء الى الله ان
 يغفر ذنبه ، والصلوة على الرسول وآلـه وصحبه
 والتبعين .
 وهذا باب الهمزة منه ، يمثل تناوله ونظمـه :

(30) ولد الناقة ، والصبي الرضيع .

الفريب المصنف

اما ابو عبيد فاعتمد في « باب الاضداد » من غربيه على اساتيذه « ابي زيد » ، وابي عبيدة ، والاصمعي ، وابي محمد اليزيدي ، والكسائي (31) والثلاثة الاول خاصية . وأورد في هذا الباب 41 ضداً، كلها موجود في الكتب المستقلة بالاضداد . ولما كان اشتماده على اساتذته ، كان يروي عنهم مباشرة ، فندر الباب بعبارة : « سمعت ابا زيد يقول » . وتنوع الاشداد عنده قليلة ، تتألف من الاشداد الحقيقة ، واشداد التفؤل ، واللغات ، والقلب ، وصيغة افعال .

وسار المؤلف على خطوة ابراد الفظ ، ثم معنيبه، ثم شواهده ان وجدت ، ونسبة كل منها الى قائله . وهو في اغلب المواد قريب من اشداد ابن السكين متفقاً معها . قال مثلاً : « قال ابو زيد : طلعت على القوم اطلاع طلوعاً : اذا غبت عنهم حتى لا يرونك ، وطلعت عليهم : اذا اقبلت اليهم حتى يرونك . وقال : لمقت الشيء المقه لمقتاً : اذا كتبته في لغةبني عقيل ، وسائل فيس يقولون : لمقته : محنته » . وقال ابن السكين (40) : قال ابو زيد : يقال : طلعت على القوم اطلاع طلوعاً : اذا غبت عنهم حتى لا يرونك ، وطلعت عليهم : اذا اقبلت اليهم حتى يرونك . ويقال : لمقت الشيء المقه لمقتاً : اذا كتبته في لغة عقيل ، وسائل العرب يقولون : لمقته : محنته » .

ولكنه كان يميل الى الاختصار ، فاختصر عباره ابن السكين ، كما نرى في قوله : « فرع الرجل في الجبل : صعد ، وفرع : انحدر ، وقال معن بن اوس :

فساروا ، فاما جل حي ففرعوا

جميعاً ، واما حي دعد فصعدوا

ويروى : فافرعوا ، وافرع في الحالين جميعاً» . وقال ابن السكين (41) : « فرع الرجل : اصعد وفرع : انحدر ، قال معن بن اوس :

فساروا : فاما جل حبي ففرعوا

جميعاً ، واما حي دعد فصعدوا

الأزد للضعف والقوة قل

واللاحاطة وللظهور تقل
فمعاني الشرط الثاني لا تدخل في الاشداد ،
وقوله :

وبتر الرجل : اعطي ومنع
كذا اذا على الشخص حين طبع
فصلاة الصحي بيت من المعينين المتضادين ،
وكذلك قوله :

والشمع - بالكسر - : قبل النعل

ولقليل المال ثم الجسل

فسمع النعل ليس من الاشداد . وامثال ذلك
كثيرة ، ولم يعن الابياري بها .

ويجيب هذه القصيدة امران : قلة الاشداد
فيها عما في الدورق ، وكثرة الاضطراب في
الترتيب ، كما يظهر في باب البناء ، والحادي والدال ،
والراء ، والسين ، والضاد ، والعين وغيرها .

(الفصل الرابع)

فصل عن الاشداد

لم يقصر لغويو العرب جهودهم على تأليف كتب مستقلة للاشداد ، بل شارك بعضهم في هذه الحركة ، بتخصيص ابواب او فصول للاشداد من كتبهم الجامحة . ومن الطبيعي اننا لا نستطيع ان ننفل او نحط من هذه الجهود ، وان كانت بحكم وضعها اقل شأنها من الكتب المستقلة .

وقد وصلت الينا خمس مجموعات تحتوي على ابواب مخصصة للاشداد ، وهي بترتيب ظهورها :
الفريب المصنف لابي عبيد القاسم بن سلام المتوفى بين عامي 223 - 230 هـ ، وادب الكاتب لابن قتيبة 270 هـ ، وسر العربية لعبد الملك بن محمد الشعابي المتوفى عام 429 هـ ، والمخصص لابن سيده المتوفى عام 458 هـ ، والمزهر للسيوطى المتوفى عام 911 هـ .

• 376 البغية (31)

4 - 323 (40)

• 313 (41)

فأعمد لما تعلو فمالك بالذى
لا تستطع من الامور يدان

قوله : يشعب امره : يعني يفرقه ويشتته .
وقواليه : لما تعلو ، يقول : تكثف من الامور ما تمساهم
وتطيقه » . وشرح ابن السكيت اوفي من ذلك ، اذ
يقال (45) : « قوله : يشعب امره : يفرقه . يقال :
شعبت اهواؤهم : اي تفرقت . قوله : لما تعلو : يعني
تكثف من الامر ما تطيقه وتقهره ، ويقال : هو غال
الذالك الامر : اي ضابط له قاهر » .

وَتَتَّبِعُ مِزَايَا هَذَا الْبَابِ مِنَ الْاَسْدَادِ مِنْ اَنْه
يَصْحُحُ بَعْضُ تَقْوِيلِ اَبْنِ السَّكِيتِ ، كَمَا فَعَلَ فِي (الْمَقْ)
اَذْ نَسْبَ مَعْنَى (مَحَا) إِلَى قِيسٍ . مَوْافِقًا بِذَلِكِ اَبَا
حَاتَمٍ (46) وَابْنِ الْأَنْبَارِيِّ (47) ; وَمُخَانِفًا قَوْلِ
ابْنِ السَّكِيتِ (48) .

ويمتاز أيضاً بأنه ينسب كثيراً من الأضداد التي أهملها ابن السكينة وأبو حاتم إلى أصحابها الذين قالوها ، مثل أفاد ، وأودع . والشيخ وصارخ وهما جد وصريح وبث وظن ووراء وغيرها .

ومن الطبيعي أن نضع في مزاياد زياداته في تضاعيف الشرح ، والخطة التي اتبعها في علاج الاشداد ، وجعلته لا يعني الا بما اتصل بها ، ويهدف عدا ذلك ، ويقتل الشواهد ، حتى صار الباب في مرحلة متوسطة بين كتب ابن السكريت وأبي حاتم وأبن الأباري الفاسقة بالشواهد والعلميات ، وبين كتاب الصفارى، الذى حذف الشواهد جميعها.

ولكننا نأخذ عليه تكرار مادة « وراء » وتبنا لها مادة « دون » مرتين : اولاها فى منتصف الباب عن أبي عبيدة ، وثانيتها فى آخره تقريبا عن غير أبي عبيدة . ولن نعذر عنه باختلاف الرواوى لانه كان يستطيع التنبية الى ذلك فى الموضع الاول ، ويستفنى عن التكرار .. والمأخذ الثاني عليه ايراده بعض الاضداد الشى تقدحها المؤلفون ، مثل خندى

وبيروي : فأصعدنا . ويريوي : فأفرعوا . وقد
افزع الرجل : اذا انحدر من الجبل ، وأفرع : اذا
صعد ؛ قال الشمامي :

فان کرہت هجائی فاجتنب سخطی

وقال رجل من العيلات من بنى امية :

انني امرؤ من يمان حين تنسبني
وفي امة افراطى وتصميدى

الرواية : وتصوبي ». فحذف ما اورده في « أفرع » حتى التبس قوله بعض الشيء ، وحذف ما بعدها من شواهد . وكثيراً ما كان يحذفها اختصاراً .

ويرغم هذا الاختصار ، كان يزيد احيانا على ما
في اضداد ابن السكيت ، مثل قوله : « قال ابو
زيد : السدفة في لفةبني تميم : الظلمة ، والسدفة ،
في لفه قيس : الضوء . وكذلك قال ابو محمد
البيزيدي ، وانشد للعجب :

« واقطع الليل اذا ما اسدفا »

أي أظلم . وبعضهم يجعل السدفة اختلاط
الضوء والظلمة مثل ما بين طلوع الفجر الى الاسفار».
ولم يرد ابن السكريت (42) ولا ابو حاتم (43) ولا ابن
الأنباري (44) العبارة الأخيرة .

ولم يمنعه الاختصار من شرح شواهدة ، والالتفات الى ما فيها من رواية . وكان يتافق مع ابن السكبت في اکثر الشرح مع اختصاره . مثال ذلك في قوله : « قال الاصمعي : شعبت الشيء اصلحته ، وشعبته : شققته . قال : والشعوب منه ، وهي المثنة لأنها تفرق . وأنشدا لعلى بن غدير الغنوبي :

وَإِذَا رَأَيْتُ الْمَرْءَ يَشْعُبُ أَمْرَهُ
شَعْبُ الْمَعَا وَلِحْمُ فِي الْعَصِيَانِ

- 316 (43) (42)
 - 1144 (43)
 - 645 (44)
 - 277 (45)
 - 1372 (46)
 - 133 (47)
 - 324; 50 (48)

على ضدين فقط ، أحدهما بيت من الشعر ، والثاني
بأيامه من القرآن : قال الخليولة للشوك واليقيس ،
قال أبو ذؤيب :

واسر ، التي أوردهما أبو عبيدة ، ونقدهما أبو حاتم ،
ونقل النقد أيضاً ابن الباري .

— * —

ادب الکتاب

وأورد ابن قتيبة ببابا صغيرا من ادب الكاتب ،
« للمتضادين باسم واحد » (49) اورد فيه 27 ضدا .
ونهج على ان يقدم التحفظ المراد ثم معنیه المتضادين .
واكتفى بذلك كثيرا ، وفي مرات اخرى اورد
شاهدما من الشعر ، وكثيرا ما اكتفى بشطر واحد من
الشاهد . ونسب في احد الاضداد قولا لابي عبيدة ،
وآخر للفراء . وأورد في احد الاضداد ايضا قولا
يبطل التضاد اخذه من ابى عبيد وان لم يتبه الى
ذلك ..

وامثل له بقوله : « الجنون : الاسود ، وهو
الابيض ، قال الشاعر :
يبدأ الجنون ان تفينا
يعني الشمس .

يعني الشمس .

يعني الشمس.

والسدة الظلمة ، والسدفة الضوء ، وبعدهم يجعل السدفة اختلاط الضوء والظلمة كوقت ما بين طلوع الفجر الى الاسفار .

والجلل الشيء الكبير ، والجلل الشيء الصغير » .

سر العربية

وأفرد الشعالي في كتابه « سر العربية في
مجاري كلام العرب وسنتها والاستشهاد بالقرآن
على أكثرها » فصلاً خاصاً بالآضداد ، سماه « فصل
في تسمية المتضادين باسم واحد (50) ». .

وهذا الفصل قصير جداً كبقية فصول الكتاب، يحتوي على ثمانية أضداد فحسب . نوح المؤلف في معالجتها ، على أن يذكر الكلمة ، ثم معنیها . قال مثلاً : « الجون للابيض والاسود ، والقروء للاظهار والحيض ، والصريرم لليل والصبح .. » واستشهد

- 181 - 177 (49)
 - 5652 (50)
 - 492 (51)

الاختصار في تغيير عبارته ، وعبارة ابن السكين ، بما يضفيها ولا يخرجها عن معناها . نرى ذلك في قوله (53) : « يقال لفت الشيء المقصه لمقاهي : كتبته ، عقبية ، ولقت محوته ، قيسية » .

ونرى ذلك في قوله (54) : « المقوى : الذي لا زاد معه ولا مال له ، والمقوى : المكثر : يقال : اكثرا من اثنين) فلان فانه مقو ، والمقوى : الذي ظهره قوي » . وحذف في بعض الموضع عبارات ضرورية في المادة ، مثل ذلك قوله (55) « السدفة : اختلاط الشوؤ والظلمة معاً كوقت ما بين صلاة الفجر إلى الإسفل » فاقتصر على العبارة الأخيرة من قول أبي عبيده ، ولم يظهر وجه اعتباره المادة من الأضداد لما حذفه منها .

وتمثل الاختصار فيما حذفه من أشياء . فقد حذف أسماء الغوين الذين رروا الأضداد وذكرهم أبو عبيده وابن السكين ، واكتفى بنسبتها إلى أبي عبيده وابن السكين . وكان أبو عبيده خاصة يحب أن يشير إلى الأضداد التي اتفق فيها بعض الغوين ، فحذف ابن سيده كل ذلك ..

وحذف بعض الشواهد أيضا .

اما الشواهد التي ذكرها فحذف كثيراً من أسماء قائلتها ، وكان أبو عبيده وابن السكين يذكرهم . وأخر مظاهر الاختصار عدم تكريره اللفظ مع المعنيين المتضادين اكتفاء بذكره مرة واحدة في أول المادة ، في بعض الأضداد ، مثل : « شريت : بعت وشتريت ... دحت الشيء دوها : جمعته وفرقته ..

ولكن - برغم ميله إلى الاختصار - كان لا يحذف شرح الشاهد أو التعليق عليه ، كما نرى في شعرى ، وشعب ، وجون وخلوف والظن وغيرها . وكان في بعض الموضع يحذف الشاهد وب يأتي بأخر بدلا منه ، كما فعل في « سوء » .

ويتميز هذا الباب - إلى جانب الاختصار - بما اتي به من أضداد زائدة على ما في كتب ابن السكين وابي حاتم وابن الانباري . فقد رجع - للمرة

ويحتوى الفصل الثالث على اربع عبارات ، تجري مجرى الاستهزاء فى كتب الأضداد ، والأخيرتان منها آيتان قرآنيتان . ولم يعلق المؤلف على الأقوال او الآيات ، ولم يفسرهما لوضوح مقصده منها في عنوان الفصل . قال : « العرب تفعل ذلك (يريد الاستهزاء بالتضاد) فتقول للرجل تستجهله : يا عاقل . وللمرأة تستجهلها : يا قمر . وفي القرآن : (ذق انك انت العزيز الكريم) . وقال عز ذكره : (انك لانت الحليم الرشيد) » .

— —

المخصص

وأفرد ابن سيده في كتابه « المخصص » (52) ببابا للأضداد سماه « كتاب الأضداد » . واعتبر ابن سيده هذا الباب كتابا بالفعل ، والأضداد مشكلة علمية جديرة بالبحث ، فصدر الباب بمقدمة في بحثها . وتناول في هذه المقدمة تقسيم الكلام إلى مختلف ، ومتراوِف ومشترك وعلل كل قسم منها ووضع الأضداد في المشترك وبين أن أصل وجودها اللغات والمجاز ، ورد على منكريها كما رد على منكري الترادف . وأقام كلامه هذا في المقدمة على ما قاله سيبويه في أول كتابه ، وشرح أبي علي الفارسي لهذه الأقوال .

واورد ابن سيده في بابه حوالي مئة ضد ، اعتمد في الشطر الأول منها على أبي عبيده ، وفي الثاني على ابن السكين ، ووارد في الجزء الأخير منها أضداداً من مصادر متفرقة . ولذلك نرى الشطر الأول يسير متفقاً مع ترتيب باب أضداد الفريب المصنف اتفاقاً تماماً ، عدا موضع متفرقة قليلة زاد فيها ابن سيده مادة من مصدر آخر ، او اختلف الترتيب فيها . ونرى الشطر الثاني يسير متفقاً مع ترتيب كتاب ابن السكين تماماً ، مع حذف الموارد التي سبق اقتباسها من أبي عبيده . اذا كان الانسان اشتراكاً فيها .

وسار ابن سيده على النهج الذي سار عليه ابو عبيده الا أنه مال إلى الاختصار أكثر منه . وتمثل هذا

-
- 258 : 13 (52)
 - 26 (53)
 - 265 (54)
 - 261 (55)

على متن الاصناد ، او هو بعبارة ادق ، في مرحلة متوسطة بين باب الاصناد عند ابي عبيد وكتاب الصفاني من حيث التناول ، ولكنه يفوق باب ابي عبيد من حيث عدد الاصناد التي يحوسها . وادق وصف له انه اعظم باب من مجموعة لغوية في عدد الاصناد ، ومن احسنها دقة تناول . ولا يعييه غير بعض ما اجرأه من حذف شديد في بعض الاصناد القليلة حتى جعلها غير واضحة ..

— * —

المزهر

وفي القرن العاشر الهجري افرد السيوطي فصلا من كتابه « المزهر » للاصناد ، وعنوانه « التسوع السادس والعشرون : معرفة الاصناد » . وعالج السيوطي الاصناد علاج ابن سيده لها ، اي اعتبرها مشكلة لغوية تستحق البحث والنقاش . فقدم بين يدي فصله مقدمة تناولت تقسيم الكلام ، واقوال بعض اللغويين في ذلك وفي الاصناد بنوع خاص ، والدفاع عنها ، والرد على منكريها . واقتبس اقواله هذه من علماء لم نرهم في المخصص ، مثل الكيم ، وابن فارس والبرد . ثم انتقل من هذه المقدمة الى الاصناد نفسها .

واعتمد السيوطي في الجزء الاول من اصداته على ما رواه ابو عبيد في الغريب المصنف ، كما فعل ابن سيده . ولكن حين انتهى من اصداد ابي عبيد لم يقتبس اصداد ابن السكين مثله بل تتبع الاصناد في بعض الماجم الاتي مثل جمهرة ابن دريد ، وديوان الادب للفارابي ، والصحاح للجوهري ، والجمل لابن فارس والقاموس للفيروزابادي ، وكتب الامالي والرسائل الخاصة مثل امالى القالى ، ومجاز الكلام وتصاريفه لشلوب ، وادب الكاتب لابن قتيبة ، ونسادر ابن الاعرابي والمقصور والمددود للاندلسي ، والمشاكمة للأزدي ، والافعال لابن القوطية . ويتبين من هذا ان السيوطي خالف القدماء في المراجع التي اعتمد عليها . فقد كانوا يستقون من كتب الاصناد نفسها ، واستقى ابن سيده للمرة الاولى من بعض الماجم . فلما جاء السيوطي اكثر من هذا الورد وتوسع فيه حتى صار الاصل عنده .

ونهج السيوطي لنفسه ان يذكر اللفظ ومعنىيه المتضادين ، وقد يكرر اللفظ مع كل معنى . ولا يعني الا بما تعلق بالاصناد نفسها ، اي يحذف

الاولى في تاريخ الاصناد - الى مجام اللغة الكبيرة ، كجمهرة ابن دريد (دوح والمعكوك وخفق وغيرها) والعين للخليل (الحصباء والزاهق) ورجع الى علماء لم يُؤلفوا في الاصناد ، ولكن التقى منها اشياء كأبي حنيفة الدینوری (الزاهق) او الفوا فيها ، ولكن روی عنهم اصدادا ليست في كتبهم كابن السكين (المخرج) . ولا يختلف علاجه لهذه الاصناد الرائدة عن علاجه لاصناد ابي عبيد وابن السكين ، غير أنه خصص لها الجزء الاخير من بابه . وان تناول منها شيء في داخل كلامه المتقبس عن ابي عبيد وابن السكين ..

ولم يزد في الاصناد وحدها ، بل زاد أحيانا بايراد بعض المستفات التي لم يوردها سابقاً ، مثل ما في (المشيخ) ، وبعض الزراديات الأخرى التي نرى امثالها في نهل . وشري ، ومثل ، وظن ، وسوء ، وخشب وغيرها . وكان في بعض الاحيان او أكثرها ينسب هذه الزراديات الى أصحابها .

وفي آخر الباب جمع ابن سيده بعض الالفاظ ، وجعل عنوانها « ما هو في طريق الاصناد » . وهو فصل شبيه بالقرب من اصداد او ما يجري مجريها ، مما رايته في كتب الاصناد . ووارد فيه بعض الالفاظ التي تختلف معانيها اختلافا يكاد يكون متضادا ، مثل قوله : « سنج عليه الشيء ينسج سنجحا : سهل ، وسنجحت بالرجل : احرجته » . وروى أحد هذه الالفاظ عن ابن السكين (وليست في اصداده واحدتها عن صاحب العين واحدتها عن أبي زيد والخليل معا . ويحتوي الفصل على اربعة الفاظ فقط .

وخلاصة القول ان هذا الباب من المخصص جدير باسم « كتاب الاصناد » الذي اطلقه عليه مؤلفه فهو لا يقل عن الكتب المستقلة في شيء - لا في مقدمة تبحث المشكلة ، ولا عدد الاصناد او علاجها او شواهدها ، او ما الى ذلك . بل ماثلها في العناية بما يجري مجريها ايضا . ولكن من الكتب التي تميل الى الاختصار ، فتركز اهتمامها بالاصناد ، وما يوضح تضادها من شواهد وعلاج ، فلا تكثر من الاستطراد وتناول الامور النحوية واللغوية والمعانى الاخرى للاصناد ، وما ماثل ذلك من امور وجدناها في بعض الكتب المستقلة . فهو في مرحلة متوسطة بين هذه الكتب وبين كتاب الصفاني القاصر

وخلصة القول في هذا الفصل انه يضارع فصل ابن سيده ، ولا يقلل من شأنه الا استفناوه عن الشواهد ، فهو من هذه الناحية يوضع مع كتاب الصفاني ، غير ان هذا يفوقه في الترتيب والتنظيم وخلوه من التكرار .

— * —

«الخاتمة»

الاضداد ظاهرة غريبة .

فالذهن ينكرها للوهلة الاولى ، وينبئ ان يصدق وجود لفظ واحد يدل على معنى وضده . فالمنطق القلي يعرف الضدين بأنهما الامران اللذان لا يقعن على شيء واحد ، وفي وقت واحد . ومن ثم كانت الالفاظ الاضداد غريبة في ماهيتها . وعلى هذا الاساس انكرها من انكرها . ولكن هذا الاساس لم يمنع ان يؤمن بها جماعات من القدماء ، وقلة من المحدثين . وكانت الفئة الاخيرة – او افراد منها – هي التي حاولت ان تعلم هذه الظاهرة الغريبة بالرجوع الى التفكير البشري في فطرته وسذاجته ، او بالتأمل في مراحل معينة من التاريخ البشري او التاريخ العربي القديم .

ولعل ظاهرة لغوية اخرى بمثل سوء الفهم الذي احيطت به ظاهرة الاضداد . فمنذ عهد مبكر ، اختلف الفحويون فيها ، ولا زالوا مختلفين . فإذا تأملنا ما دار بينهم من نقاش وجدى الفاظهم وعباراتهم تتناقض وتتصادم ، والمؤدي الاخير لما يقولون واحدا . فهم يتجادلون حول تصورين لا تصور واحد ، وفي مجالين لا مجال واحد . ولو تحدثوا عن تصور واحد ، وفي داخل مجال واحد ، لهذا كثير من الخصومة ، وبطل كثير من الادلة ، وربما ضاع الخلاف .

فقد كان المتكلمون للاضداد ينظرون في مجال ضيق لا يتجاوز آية لهجة قبلية على حدتها . ولما لم يعثروا على اضداد في داخل اللهجة الواحدة انكروا الاضداد برمتها . وابوا ان يسمعوا بالاضداد ما جاء دالا على معان متضادة في لهجات قبلية مختلفة ، وان ضمتهما اللغة العربية بعد .

ال Shawahed ، والشرح ، والمشتقات وما إليها ، فلا ذكر لها عنده ، الا في النادر جدا . فبابه من « متون الاضداد » اي من نوع كتاب الصفاني . يقول مثلا (56) : « اجعلب الرجل : اذا اضطجع ساقطا ، واجعلبت الايل : اذا مضت جادة . وبعت الشيء : اذا بعثه من غيرك ، وبعثه : اشتريته . وشربت : بعث وأشتريت . وشعبت الشيء : اصلحته ، وشعبته : شفقته ، وشعوب منه ، وهي المنية لأنها تفرق . والهاجد : الحلي بالليل . والهاجد : الثئم » .

واجا في الاضداد التي نقلها عن أبي عبيد الى ترتيبها على قائلها . فقد نثر أبو عبيد اضداد كل لفوي نثرا دون ان يجمعها في موضع واحد ، فكان عنده مختاطة بما يروي لغيره فلما ادخلها السيوطي في فصله ، فصل كل نوع على حدة ، وقدم اضداد أبي زيد ، فالاصمعي فابي عبيدة فالكسائي فالاموي ، فما رواه غير واحد ، فاضداد أبي عمرو ، فالاحمر . وكان واجبا عليه تأخير الاضداد الى ما بعد اضداد الاحمر . ومن الغريب ان « الاحمر » لا يرد له ذكر في فصل الاضداد من كتاب الغريب المصنف الموجود في أيدينا اليوم ، وربما سقط الاسم من نسختنا وكان في نسخة السبوطي . اذ ان هناك بعض الاختلاف بين النسختين ، فيبينما تنسب نسختنا : « شعب » للاصمعي ، ينسبها السبوطي لابي زيد ، وسقط من نسختنا احد معني « اشكى » المتضادين ، وهو موجود عند السبوطي .

ولكن السبوطي هندا ترك اضداد أبي عبيد اضطرب ، ولم يفلح في ترتيبها حتى على ترتيب الكتب التي أخذ منها ، بل أورد ما وقع منها تحت نظره ، ولو كان سبق ذكره . ولذلك تكررت عنده بعض المواد مرتين وأكثر ، مثل « سوى » رواها عن أبي عبيد – وابن دريد ، و « الغابر » رواها عن ابن دريد والجوهري ، و « نصل » عن الفارابي والجوهري ، وغيرها . فبلغت الاضداد عنده قريبا من مائة وعشرين ، وهي في الحقيقة اقل من ذلك كثيرا .

وختم السبوطي فصله بفائدة ذكر فيها اسماء بعض من الف في الاضداد ، ثم سرد اکثر مقدمة كتاب الاضداد لابي بكر بن الانباري ..

2 - هل تعد هذه الالفاظ ظاهرة خاصة يجدر بها التسجيل بين الظواهر اللغوية ؟ اعتقد ان احدا لا ينكر هذا ايضا . وانسيف الى ذلك ان هذه الظاهرة لا تنفرد بها اللغة العربية ، بل توجد في بعض اللغات السامية كما كشف بعض المستشرقين ، وفي بعض اللغات الاوروبية كما كشف الاستاذ عبد الفتاح بدوي . واذن فوجود الاضداد ليس منقضة للفترة العربية ، كما كان الشعوبيون قد يفهمون ، وكما يفهم من اقوال بعض المستشرقين حديثا ، مما كان واحدا من الدوافع - في اعتقادي - التي حملت عبد الفتاح بدوي على المغالاة في رفض الاضداد .

3 - هل تستحق هذه الظاهرة تسمية خاصة ؟ اعتقد ان كل ظاهرة مهما كان شبيوها يجدر بها ان يكون لها اسم خاص .اما المؤيدون فقد سموها «الاضداد» ، فاذا كان المذكورون يجدون لها تسمية اكثر ملائمة ، فاهلا بها .

4 - هل الاضداد بالشیوع الذى صوره القدماء ؟

واضح من الدراسة الماضية ان تصور الاضداد اختلف من وقت لآخر ، ومن رجل الى رجل ، فضاق حينا واتسع آخر . فكان تصور الاضداد ضيق المجال ، باديء الامر عند المحدثين فيها دون ان يحاولوا لها جمعا او تدوينا . ولكن هذا التصور اتسع اتساعا غريبا عند اول مؤلف في الاضداد : قطرب ، فشمل شتانا غريبا من الالفاظ ، مما يدل على ان قطربا لم يكن يحسن تصور الاضداد ، ولا احسن وضع العواجز الفاصلة بينها وبين غيرها واضطر اثرا من جاء بعد قطرب الى تضييق المجال الذي وسعه ، ونفي كثير من الفئات والالفاظ التي ادخلها في كتابه . فأخذ تصور الاضداد في الوضوح ، وحدودها في البروز . ثم اتسع المجال مرة اخرى عند ابن الانباري خاصة بما ادخل من انواع جديدة من الاضداد . واذن فال المجال كان متغيرا عند القدماء ، وما اظن انه كذلك عند المحدثين ، وان كان اضيق عندهم منه عند القدماء .

5 - هل نعد كل الانواع التي اتفق عليها القدماء من الاضداد ؟

اعتقد ان احدا لا يجادل في ان ذلك مستحيل ، وان بعض ما عده القدماء من الاضداد لا يستحق هذه التسمية . واضرب امثلة لذلك بما يلي :

وقصر المذكورون تصورهم على الالفاظ في وضعها الاول . واعلنوا انهم لم يجدوا لفظا واحدا وضعه العرب حين وضعوه دالا على معنيين متضادين .اما اذا كان الاستعمال او التبديلات اللغوية او التغييرات الصرفية قد ادت بعد ذلك الى ان تزول الفوارق بين بعض الالفاظ ذات المعاني المتضادة ، فتبعد الان في صورة واحدة ، ومتضادة المعنى ، فليس ذلك من الاضداد عندهم .

ونستطيع ان نقول : ان كل لفظ توفر له سبب ما فادى به الى الدلالة على معنيين متضادين يابسى المذكورون ان يسموه ضدا ، مهما كان هذا السبب : لهجات قليلة ، او حذفا ، او تخفيقا او ابدالا ، او اعلا ، او مجازا ، او تفاؤلا وتطيرا ، او ما شاكل ذلك من امور . وانما الضد عندهم يجب الا يكون هناك سبب في دلالته هذه ، بل وضع اصلا لها .

اما المؤيدون للاضداد فوسعوا نظرتهم و مجالهم . نظروا الى اللغة العربية في شمالها وعمومها . فلفت نظرهم وجود هذه الفئة من الاضداد . ثم لم يعنوا بالبحث عن اسبابها او - ان شيئا الدقة - لم تهمهم الاسباب - فقد عرفوا اسبابا الظاهرة . واعلن اثثرا من كثيرا من الاضداد آتية من اللهجات القبلية ، وكتشفوا عن كثير من هذه الطائفة من الالفاظ . ولا خلاف بينهم وبين المذكورون غير انهم ارتضوا تسمية هذه الالفاظ القبلية بالاضداد ، ولم يرتكضها الاخرون .

كذلك لم يقصر المؤيدون نظرتهم على الالفاظ عند وضعها الاول ، بل اغفلوا هذا الوضع عمدان اذ لا اهمية له عندهم . وامعنوا النظر في الالفاظ العربية التي يسمونها ، ويتحدثون بها ، ويدعون ما يدونون . فوجدوا فيها فئة من هذه الالفاظ ، التقطوها ومنحوها اسم الاضداد دون ان يابهوا للاسباب التي ادت بها الى ذلك ، ودون ان ينكروا هذه الاسباب . بل لقد شارك بعضهم كقطرب في الكشف عن بعضها كالتوسيع وما شاكله ، لأن وجود سبب للتضاد لا يتنافي عندهم مع التسمية .

ولعل الاجابة عن الاسئلة التالية تزيل كل لبس امام المتنازعين :

1 - هل توجد في العربية الفصحى التي نعرفها اليوم الالفاظ ذات صورة واحدة ، ومعنىين متضادين ؟ اعتقد ان احدا لا يستطيع ان ينكر هذا الوجود .

ج - ما وضع في الأضداد تعسفاً أو تكثراً ، مثل الألفاظ التي تختلف معانيها دون أن تتضاد ، والالفاظ التي تتضاد معانيها بسبب ما يتعلق بها من أدوات كرغلب عن والى ، وانصرف عن والى ، وغيرهما .

6 - ما السبيل إلى معرفة اللفظ الجدير باسم الفد ؟

اعتقد ان السبيل الوحيد الى ذلك هو المعنى الذي يدل عليه اللفظ . وهنا اخترز فأقول المعنى الحق للغرض . واعني بهذا الاحتراز أمثل هذه الألفاظ التي لم يحسن بعض اللغويين التنبه الى معناها الحق، ونسوا اليها معانٍ بدأ متضادة . فالصريح هو الوقت المنقطع ، اعني الوقت المنقطع من وقت آخر، كالليل ينقطع من النهار ، والنهار ينقطع من الليل ، وليس الصريح الليل خاصة ولا النهار خاصة . والدليل الجلي على ذلك أصل اللفظ ، ومعناه ، فأصله الصرم ومعناه القطع .

والسدهة ليست ظلمة حائلة ولا ضوءاً مشرقاً ، بل هي الظلمة التي ينبع فيها الضوء ، او الضوء الذي تشوّه الظلمة ، هي اختلاط الظلمة بالضوء ، سواء كان هذا عند دخول الليل او انبلاج الصباح . وأمثال ذلك كثيرة ، فطن اليها بعض القدماء أنفسهم ، كما فعلوا في المأتم والطرب وغيرهما . ولنست هذه الألفاظ من الأضداد في شيء .

واذن فما وجدنا معانٍ تؤول الى معنى واحد لا تضاد فيه يجب أن نخرجه من الأضداد . وما دل من الألفاظ على معنى واحد : سواء كان معنى خارجياً او ذهنياً ، يجب أن نخرجه من الأضداد .

وانما يجب أن يكون الفد لفظاً واحداً ، ذا صورة واحدة ، ومعنيين متضادين حقاً لم يمكن الجمع بينهما . تلك هي الصورة الصحيحة للأضداد ، وذلك هو السبيل القويم الى تطبيقها .

1 - ما اختلف في تفسيره من الآيات ، والأشعار ، وبالقول . فالاتفاق تام بين اللغويين انه لا يوجد فيها لفظ ذو معنيين متضادين . وإنما جاء التضاد من اختلاف الناس في فهم هذه العبارات في مجموعها . ومثال ذلك الآية التي أوردناها سابقاً : (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) . فقد اختلف المفسرون فيما يتعلق به الجار وال مجرور (من آل فرعون) . فذهب بعضهم الى انه متعلق بمحذوف صفة لـ (ارجل) ، فصار القائل عندهم رجلاً مؤمناً من أقرباء فرعون ، يكتم إيمانه عن الناس جائعاً . وذهب بعضهم الى انه متعلق بالفعل (يكتم) وإن الآية حدث فيها تقديم وتأخير ، وإن الترتيب العادي لها : قال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون ، فصار القائل عندهم رجلاً مؤمناً ، غير انه يخفى هنا الإيمان عن آل فرعون . وليس هذا وامثاله من الأضداد في شيء .

ب - الفاظ وعبارات التفاؤل والتطيير والاستهزاء . فاتنا يجب ان نتعرف ان المتحدث قد يتكلم على وقع ذهني ، يصدق احياناً على الواقع الخارجي ولا يصدق اخرى . فالتحدث (المتفائل او المتطيير) يكره الواقع الخارجي ، ويحاول ان يتجاهله ، فيوفر لنفسه كل السبل التي تؤدي به الى نسيانه . ومن اهمها عدم التحدث عنه او اعطاؤه اسماء آخر لا يدل عليه . واذن فالمتفائل حين يسمى المدوغ سليماً ، والمريض معافى ، لا يريد الصورة التي يكرهها ، بل الصورة التي يحبها . فاللفظ اذن مستعمل في معناه الاولي ، وإن كان لا يتفق مع الواقع الخارجي . اضيف الى ذلك ان المتحدث يريد ان يرسم في ذهن المستمع صورة متفائلة . فاللفظ لا يدل الا على معناه الاولي عند المتكلم والمستمع كليهما ، وإن كان معناه ذهنياً لا واقع له في الخارج . لو لم يكن الامر كذلك ، لما كان هناك تفاؤل او تطيير او استهزاء . واذن ليس هذا وامثاله من الأضداد في شيء .